جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل/ كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدَيْنِ

مجلة فصليَّة علميَّة مُحكَّمة

تصدر عن كلية الآداب – جامعة الموصل

العدد السابع والثمانون/ السنة الواحدة والخمسون
جمادى الأَوَّل – ١٤٤٣هـ / كانون الأَوَّل ٢٠٢١/١٢/٢٠م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢
ISSN 0378- 2867
E ISSN 2664-2506

للتواصل: radab.mosuljournals@gmail.com
URL: https://radab.mosuljournals.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: السابع والثمانون السنة: الواحدة والخمسون جمادى الأوَّل – ١٤٤٣هـ / كانون الأوَّل ٢٠٢١م

رئيس التحرير: الأُستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأُستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيبانيّ (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأُستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتور حميد كردي الفلاحي	(علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الأَنبار/العراق
الأُستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن	(الترجمة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتور علاء الدين أَحمد الغرايبة	(اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأُردن
الأُستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق
الأُستاذ الدكتور كلود فينتز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا
الأُستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/ السعودية
الأُستاذ الدكتور نايف محمد شبيب	(التاريخ) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتورة سوزان يوسف أَحمد	(الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر
الأُستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأُستاذ الدكتورة غادة عبدالمنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندريّة
الأُستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأَدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأُستاذ المساعد الدكتورة أَسماء سعود إدهام	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
المدرس الدكتور هجران عبدالإله أَحمد	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: م.د.خالد حازم عيدان – مقوم لغوي/ اللغة العربيَّة

م.م.عمَّار أَحمد محمود – مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزيَّة

المتابعة:

مترجم.إيمان جرجيس أَمين – إدارة المتابعة

مترجم.نجلاء أَحمد حسين – إدارة المتابعة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup .

٢- بعد التسجيل ستُرسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنَّه سجَّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=login .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلَّق به وببحثه ويمكنه الاطِّلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

- تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأَخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأَشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذُكر آنفًا .
- تُرتَّب الهوامش أَرقامًا لكل صفحة، ويُعرَّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
- يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكِّم) للفحص الأَخير، وترجيح جهة القبول أَو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونيَّة ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أَن يلتزم الباحث (المؤلِّف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

- يجب أَن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أَي: يرسل بدون اسم .
- يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أَبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .
- يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلَّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنَّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمَّا الشروط العلميَّة فكما هو مبيّن على النحو الآتي :

- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنوانها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليَّة البحث) .
- يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثيَّة أو فرضيَّات تعبِّر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلِّها أو دحضها علميًّا في متن البحث .
- يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأن يحدِّد الغرض من تطبيقها.
- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .
- يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتَّبع فيه .
- يجب مراعاة تصميم البحث وأُسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.
- يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.
- يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكُّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنَّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكَّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبِّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكريَّة ولا تعبِّر بالضرورة عن آراء هيأة التحرير فاقتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتـــويـــات

العنـوان	الصفحة
بحوث اللغة العربية	
النحاة والقراءات القرآنية مواقف وحقائق محمد ذنون يونس فتحي	1-44
المحاكاة الصوتية في قراءة عاصم برواية حفص هاء الكناية أنموذجًا محمد إسماعيل المشهداني	45- 73
التعليل الصوتي لأحكام النون الساكنة والتنوين عند القراء العشرة فتحي طه أحمد وفيصل مرعي الطائي	74-100
الآخر/الطبيعة في شعر ابن خفاجة الأندلسي أسماء طاهر ذنون العبادي و منتصر عبد القادر الغضنفري	101-134
أسلوبية التضاد الدلالي في أحاديث رياض الصالحين للنووي (ت 676هـ) هدى محمد محمود محمد و مازن موفق صديق الخيرو	135- 163
الأحاديث النبوية الشريفة المبدوءة بـ (ليس منّا ...). دراسة دلالية . فخري أحمد سليمان	164- 209
رمز المرأة "ليلى" في الشعر الصوفي عصمت حسين ميرزا	210-241
بحوث التاريخ والحضارة الإسلاميَّة	
تطور العلوم الدينية وعلوم اللغة والنحو والأدب في المدن الأندلسية التي أسَّسها المسلمون في عصري الإمارة والخلافة (138-422هـ/755-1031م) أسامة سالم شيت حامد الزبيدي و فائزة حمزة عباس	242- 269
تطوّر صورة الآخر العثماني في كتابات المستشرقين والمؤرخين الأوربيين محمد علي محمد عفين	270- 314
نبذة عن حياة الملك المنصور الاجتماعية محمد عادل شيت و سلطان جبر سلطان	315- 332
مجد الدين ابن الأثير وعلاقتهُ بالسلطة الزنكيَّة ما بين (565- 589هـ/1169- 1193م) مناهل أُسامة الخيرو و شكيب راشد بشير	333- 367
الصلات التجارية بين الموانئ الهندية والصينية(132_656هـ/749_1258م) قاسم عمر علاوي اللهيبي و سفيان ياسين إبراهيم	368- 392
النشأة الاجتماعيَّة للدكتور محمد علي داهش محمود جاسم محمد و هشام سوادي هاشم	395- 412
إسهام المرأة الاقتصادي في العصر العباسي (132-656هـ/ 749-1258م) من خلال كتب البلدانيات أحمد ميسر محمود	413- 434
السفارة في الإسلام العصر العباسي بتول عباس فاضل	435- 455
بحوث علم الاجتماع	
النظرية والمنهج في علم اجتماع المعرفة واجتماعية المعرفة العلمية شفيق ابراهيم صالح الجبوري	456- 488
الكلفة الاقتصادية والاجتماعية للمواد الغذائية المستوردة في العراق دراسة ميدانية على أطفال مدينة الموصل فائز محمد داؤد و فراس عباس فاضل البياتي	489- 513
الإدمان على المخدّرات دراسة تحليليَّة في أسباب وأنواع المخدّرات والنتائج وسبل المعالجة محمد عبد المنعم الزبيدي	514- 552
بحوث المعلومات والمكتبات	

تكنولوجيا المعلومات واستخدامها من العاملين في المكتبات : مكتبات جامعة الموصل أنموذجًا مهدي صالح أحمد و عمار عبد اللطيف زين العابدين	553- 594
بحوث علم النفس وطرائق التدريس	
بناء اختبار لقياس القدرات التقويمية لدى طلبة المرحلة الثانوية ميساء محمد قاسم وندى فتاح زيدان	595- 661

CC BY

الآخر/الطبيعة في شعر ابن خفاجة الأَندلسي

أَسماء طاهر ذنون العبادي* و منتصر عبد القادر الغضنفري*

تأريخ التقديم: 2019/2/19 تأريخ القبول: 2019/12/31

المستخلص:

يتناول هذا البحث جانبا من الجوانب المهمة لدى الشاعر الأَندلسي ابن خفاجة وهو الآخر / الطبيعة، فهو من اهم شعراء الاندلس الذين تعاملوا مع الطبيعة حتى غدت ركناً ركيناً من اركان نصه الابداعي، حتى بلغت الطبيعة – صامتة وحية – الذروة في الوصف والتواصل على يده.

إنَّ الآخر الطبيعة واخص بذلك الطبيعة الاندلسية تعد أَحد العوامل التي اسهمت في تأسيس ظواهر الابداع والابتكار والتجديد في الشعر الأَندلسي عامة والشاعر ابن خفاجة خاصة حتى عد شاعر الطبيعة الاندلسية لا وصافا لمجاليها ومتحدثاً عن جنباتها بل انه اضفى عليها من مظاهر الحياة ما صارت معه مستقبلاً منه أَفكاره ومشاعره مثلما جعلها، فضاء لنصوص كثيرة في شعره فضلا عن الوصف المباشر لتجتمع بذلك كله صورة لآخر مهم كان له دور كبير في بيان تجربة الشاعر النفسية / الفكرية والابداعية.

الكلمات المفتاحية: مشاعر، أَفكار، صور.

المقدمة:

يسعى هذا البحث الى دراسة الآخر / الطبيعة في شعر ابن خفاجة فصلته بها كانت قوية فهي حاضرة حضوراً فعال في شعره حتى غدت مسيطرة على أَغراض شعره وموضوعاته كلها، وعلى الرغم من أن ذوق البيئة الاندلسية قد فرض نفسه على نصوص الشاعر في اغلب اوصافه للطبيعة الحية والصامتة فإنه تعامل معها

* طالبة ماجستير/ قسم اللغة العربية/ كلية التربية الإنسانية/جامعة الموصل.

* أستاذ/ قسم اللغة العربية/ كلية التربية الإنسانية/جامعة الموصل.

نفسياً وفكرياً وفنياً ما جعل منها آخر يحادثه ويتواصل معه مثلما يصفه بوصفه فضاء يحتوي نصوصه الابداعية.

الآخر/ الطبيعة:

لقد ادرك الشعراء منذ القدم بأهمية (الآخر/ الطبيعة) "كباعث لخلجات النفس وهمومها، فوصفوا مظاهرها، وصوروا جزئياتها، فوصفوا الجبال والسهول والوديان والامطار، ووصفوا الليل والنهار وجعلوا الاعتماد فيه على انفعالاتهم الحسية والتي ضمنوها ابياتهم" [1].

إن لـ (الآخر/ الطبيعة) صدى واسعاً في حياة العربي شرقاً وغرباً؛ فالطبيعة تؤثر في فكر (الشاعر/ الذات) وثقافته، ويكاد الحديث عن (الآخر/ الطبيعة) يكون الحديث عن (الشاعر/ الذات) نفسه؛ "فالشاعر بلا طبيعة، مثله مثل من يفتقد الضوء، فيتلمس من دون أن يرى"[2] وهكذا فلا يمكن فصل الشاعر عن الطبيعة ولا الطبيعة عن الشاعر مهما كان هذا (الآخر) طبيعة صامتة أو طبيعة حية وعن طريق (الذات) تصل (الآخر/ الطبيعة) إلى غايتها وهو أمر في غاية الصعوبة [3]، ولا يخفى على أحد أن "الشاعر العربي منذ الجاهلية قد عني بالطبيعة جامدها وحيها فتغني بمظاهرها، وجعل منها صدى لصوته وانعكاساً لتجربته، ثم راح يؤنسها مخاطباً الجبل ومنادياً النسيم، مناجياً الليل، مرافقاً للناقة والفرس: مصاحباً الوحش من ذئاب وضياع وسباع، واذا به ينظر إلى الطبيعة أما بعين البدوي ليصف الصحراء

(1) الذات والآخر في روميات ابي فراس الحمداني، نوال براك الثمالي، رسالة ماجستير، جامعة ام القرى بمكة المكرمة كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا للغة العربية فرع الادب والبلاغة والنقد، بإشراف الاستاذ الدكتور مصطفى عناية، 1432ه: 130.

(2) رماد الشعر دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق, الاستاذ الدكتور عبدالكريم راضي جعفر, الطبعة الثانية، (د.م) , 2014م: 86.

(3) ينظر: الآخر في شعر الخطيئة دلالة المكان انموذجاً، الدكتور علي حسين جلود، الدكتور حمادي خلف سعود، مجلة كلية التربية الاساسية، المجلد (21) ، العدد (87) ، 2015م: 41.

المترامية والدمن البالية والطلول... وأما بعين الحضري الذي شرع يتغنى بنعومة الحياة وترفها..."[1].

ولما كان الشعراء الاندلسيون قد طرقوا الابواب الشعرية جميعاً التي طرقها قبلهم المشارقة، ناسجين على منوال الشعر المشرقي في موضوعاته واساليبه ومنها شعر الطبيعة خاصة، حتى غدا الشعر الاندلسي محاكاة ونقلاً لعبارة الشرق ولفظه واساليبه واغراضه واوزانه وقوافيه[2]، مع لمسات إبداعية افصحت عن شخيصتهم الشعرية المتميزة وقد تلمسُ "ابداعهم وبراعة وصفهم، ورقة تصويرهم، ورقة احساسهم، وشدة افتتانهم وحلاوة معانيهم وخصب خيالهم، فاسمعهم في ذكر بلادهم الجميلة ووصف مفاتنها، اسمعهم يصفون اطيارها، واشجارها، جداولها وانهارها، نجومها واقمارها، غيومها وامطارها، قصورها وحدائقها، بركها ودوافقها بصورها وتماثيلها نقوشها وما إلى ذلك من اسباب عمرانها، وما كان شعرهم الا الواناً متمازجة انيقة في خضرة الاشجار وحمرة الاثمار وبياض الحباب وصفرة الشمس، وذهب الاصيل ولجين الماء وزرقة السماء" [3].

إن من الطبيعي أن يتأثر التلميذ بأستاذه، فقد بقي شعور الاندلسيين نحو المشارقة شعوراً متادباً متواضعاً حتى إن ابن خفاجة كان يقارن نفسه بالشاعر الحلبي المعروف باسم (الصنوبري) فكلا الشاعرين تفوقا في وصف الطبيعة

(1) جدلية الانا والآخر في الشعر الصوفي على امتداد القرنين السادس والسابع الهجرين، صالح ابراهيم نجم، شهادة الدكتوراه، جامعة تشرين، كلية الاداب والعلوم الانسانية، قسم اللغة العربية، بإشراف الدكتور وفيق محمود سليطين، السنة الجامعية 2012 – 2013م: 191.

(2) ينظر: ابن خفاجة الاندلسي, عبدالرحمن جبير, الطبعة الاولى, دار افاق الجديدة – بيروت– 1400ه– 1980م: 9 – 10.

(3) الطبيعة في الشعر الاندلسي، جميلة شحادة الخوري، شهادة استاذ في العلوم، جامعة بيروت الامريكية، كلية الاداب، 1946م: 18.

وازاهيرها [1]، فالطبيعة كانت "ذات حيز كبير مستقل ثري من الاهتمام بها لدى الشعراء ما يوحي بعظم تأثيرها الخالب" [2].

أن الشاعر ابن خفاجة فهم الطبيعة فهماً "ما يستطيع انسان مثله أن يفهمه، ووادع ذلك في شعره اثناء الكلام عن مظاهرها، من اشجار وانهار، وانوار، وظلال، ووديان وجبال، وحمائم وغربان" [3]. وقد ذكره معاصروه ومن تلاهم، شاهدين له بالبراعة والسبق في وصف الرياض والمياه وما يتعلق بهما من عناصر الطبيعة المختلفة [4]، ووصفه ابن سعيد في كتابه بأنه "شاعر الاندلس في وصف الازهار والانهار وما أشبه ذلك" [5]، وكان بارعاً في وصف الانهار والازهار والاشجار والرياحين والرياض والبساتين حتى سموه (بالجنان) وسمي (صنوبري الاندلس) وذلك لكثرة اوصافه في الطبيعة وبراعته في تلك الاوصاف وولوعه بها [6]، فليس جمال الطبيعة في الاندلس هو الذي ساعد على ازدهار الشعر الذي نظم في وصفها بعامة ، بل إن حياة المجتمع الاندلسي أثرت كذلك في الشعر بما يمثل تعلق الاندلسيين

(1) ينظر: حول الادب الاندلسي, الدكتور قيصر مصطفى, (د. ط) , مؤسسة الاشراف للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت- لبنان، (د.ت) : 142 – 143.

(2) الادب الاندلسي بين التأثر والتأثير, الدكتور محمد رجب البيومي, (د. ط) , اشرفت على طباعته ونشره ادارة الثقافة والنشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية, 1400ه- 1980م: 60.

(3) ابن خفاجة الاندلسي: 104.

(4) ينظر: فضائل الاندلس واهلها, ابن حزم وابن سعيد الشقندي, تحـ الدكتور صلاح الدين المنجد, الطبعة الاولى, دار الكتاب الجديد, 1968م، 41.

(5) رايات المبرزين وغايات المميزين, لابي الحسن علي بن موسى بن سعيد الاندلسي (610-685) , حققه وعلق عليه الدكتور محمد رضوان الداية, الطبعة الاولى, دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر, دمشق- اوتوستراد المزة- 1987: 217.

(6) ينظر: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطب, شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041ه) , تحـ احسان عباس, الطبعة الثالثة, دار صادر, بيروت- لبنان، 1997م: 1/ 681، 3/ 488، و تاريخ الادب العربي (الادب في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين) , عمر فروخ, الطبعة الثانية, دار العلم للملايين بيروت- لبنان- كانون الاول1985: 5/ 219.

ببيئتهم وتفضيلها على غيرها من البيئات، فوصفها الشاعر الاندلسي "وصفاً دقيقاً ورسم اجمل اللوحات الابداعية، لأنه وجد فيها الحركة التي تمثل الحياة، وقد صورها على نحو انساني تملوه الحركة والنشاط"[1]، وقد تأكد من خلال ذلك كله إن لـ (الآخر/ الطبيعة) دوراً في بناء شخصية (الذات/ الشاعر). ولقد تأثر شعراء الاندلس عامة والشاعر ابن خفاجة خاصة بما حوته البيئة الاندلسية من مظاهر الطبيعة.

اذن فالطبيعة تتجلى في متن النص الشعري عند الشاعر ابن خفاجة بوصفها متعلقات ارتبطت بنفسية الشاعر فأستلهم منها وانسجم معها حتى تحولت إلى أفق يمثل (الآخر) على نحو حاول الشاعر عن طريقه اسقاط اللاوعي أو الحالة النفسية التي يعانيها عليها، حتى غدت عنصراً (مقدساً) – إن صح التعبير – من عناصر إدائه الفني.

لقد وقف الشاعر ابن خفاجة عند الطبيعة صامتة وحية، وعدّ الطبيعة الصامتة ألفه الحميم وتوأم روحه كيف لا وهي مهبط وحيه؛ فالطبيعة الاندلسية الجميلة شدته نحوها بمناظرها الساحرة والخلابة؛ وهي من العوامل التي اسهمت في تشكيل ظواهر الابداع والتجديد والابتكار في الشعر الاندلسي عامة وشعر ابن خفاجة خاصة [2]. ويرى شوقي ضيف أن وصف الطبيعة "غرض مهم من أغراض الشعر العربي في كل عصر وفي كل اقليم، فدائما الشعراء يتغنون بما تقع عليه ابصارهم من مشاهد الطبيعة الصامتة: من الرياض والازهار والحدائق والجبال والانهار والبحار..." [3]،

(1) ينظر: في الادب الاندلسي, مكتبة الدراسات الادبية (11) , الدكتور جودت الركابي, الطبعة السادسة, دار المعارف– القاهرة– 2008: 133، الفاظ البيئة والطبيعة في شعر ابن زيدون: دراسة صفية تحليلية، عبدالرحمن عبدالسلام داؤود مطرود، رسالة ماجستير، جامعة الجزيرة، كلية التربية – الحصاحيصا، قسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية، بإشراف الدكتور فتح الرحمن محمد أحمد عوض، ابريل – 2019م: 80.

(2) ينظر: تشخيص الطبيعة والاسقاط في شعر ابن خفاجة، نجود عطاالله الحوامدة، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد (96) ، اكتوبر – 2016م: 359.

(3) عصر الدول والامارات (الجزائر– المغرب الاقصى– موريتانيا– السودان) تاريخ الادب العربي 10, الطبعة الاولى, دار المعارف, القاهرة, د. ت ، د. شوقي ضيف: 183.

ولاسيما الشاعر ابن خفاجة الذي عاش في طبيعة مليئة بأصناف الجمال وأنواعه، ولقد وصف الشاعر تلك الطبيعة بـ "مظاهرها ومباهجها برياضها وازهارها وانهارها وجبالها ومفاوزها وسمائها ونجومها وما يتصل بذلك كله من نسيم ورياح وامطار، وكان الشعور الغالب على هذا الوصف المرح والبشر الا ما كان في امر وصفه للجبل، اذ ساده التأمل والنظرة الحزينة" [1]، فهو "بحق شاعر الاندلس ووصافها، وابن طبيعتها الساحرة" [2]. ولعل أهم ما يلاحظ على فنه أنه كان يعني بتشخيص الطبيعة وتصوير مباهجها [3].

وصف ابن خفاجة الطبيعة الاندلسية بانها جنة الارض مشبهاً إياها بالجنة في الدار الآخرة، فمن دخلها "حرمت عليه النار فهي جنة حباهم الله فيها، فلا بد من شكر الله على هذا الجمال" [4]، مباركاً لأهل الاندلس هذا المكسب ومتعجباً من حصولهم عليه فليس بعده من مكسب يقول [5]:

يا أهل الاندلس لله دركم ... ماء وظل وانهار واشجارُ

ما جنة الخلد الا في دياركم ... وهذه كنتُ لو خيرت أختارُ

لا تتقوا بعدها أن تدخلوا سقراً ... فليس تدخل بعد الجنةِ النارُ

(1) في الادب الاندلسي: 106.

(2) قصة الادب في الاندلس, محمد عبدالمنعم خفاجي, (د. ط) القسم الثاني والاخير, منشورات مكتبة المعارف- بيروت, 1962: 222، الادب الاندلسي التطور والتجديد, الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي, الطبعة الاولى, دار جبل, بيروت, 1412ه- 1992م: 503.

(3) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي, الدكتور شوقي ضيف, الطبعة التاسعة, دار المعارف – القاهرة, (د. ت) : 445.

(4) القيم الاخلاقية والجمالية في شعر ابن خفاجة الاندلسي، "دراسة تحليلية وصفية"، مجدي عبدالمعروف حسين أحمد، مجلة العلوم والتقانة، مجلد (11) ، العدد (1) ، 2010م:211.

(5) ديوان ابن خفاجة, تحـ الدكتور السيد مصطفى غازي، دار المعارف- الاسكندرية- القاهرة, 1960: 364، وينظر: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب: 1/ 680.

فقد جاء وصف الآخر/ الطبيعة الصامتة ههنا ذكر موجوداتها من زهريات ومائيات وشجريات وثمريات فضلاً عن الجبل والليل والرعد والبرق و... الخ فالشاعر لم يترك شيئاً الا وقد تطرق اليه من (الآخر/ الطبيعة) في شعره وذكره في ديوانه في مواضع متعددة اذ يقول في وصف (الآخر/ الطبيعة/ خيرية) [1]:

[الطويل]

وخيريـــة بـــين النســـيم وبينهـــا حـــديث اذا جـــن الظـــلام يطيـــب

لها نفسٌ يسري مـع الليـل عـاطر كـأن لـه سـراً هنـاك يُريـب

يـدب مـع الامسـاء حتـى كأنمـا لـه خلـف اسـتار الظـلام حبيـبُ

ويخفى مع الاصـباح حتـى كأنمـا يظـل عليـه للصـباح رقيـبُ

يضفي الشاعر على وصفه (للآخر/ الطبيعة) ولاسيما وردة الخيرية صفات انسانية حتى لكأنها حبيبة تناجي حبيبها في الظلام، بوصفه وقتاً يطيب فيه الكلام وحجاباً يستر ما بينهما وما حبيبها إلا النسيم الذي يحمل عطرها لينشره في هذا الليل كأنه سر يجب إخفاءه وكأنه يريد اللقاء بحبيب... ليختفي صباحاً خوفاً من الرقباء [2].

إن وصف حياء هذه الزهرة هو في الاصل بنية لسؤال جوهري يحاول من خلاله الشاعر أن يكشف عن سر ظهور هذ العطر في الليل واختفائه بالنهار. وهي ظاهرة غريبة وعجيبة شغلت الاندلسيين بما تحمله من معجزة ربانية في نصه هذا تحكي خصوصية انحازت لها طبيعة الاندلس.. اشار اليها ابن خفاجة بما يؤكد "شغفه بالطبيعة التي عُدت مصدراً مهماً من مصادره في رسم صوره" [3]. إن التحامه بـــ

(1) ديوان ابن خفاجة: 82.

(2) ينظر: مبنى قصيدة وصف الطبيعة في شعر ابن خفاجة الاندلسي، دراسة تحليلية، الاستاذ المساعد الدكتور خالد لفتة باقر، مجلة اداب البصرة، العدد (77) ، 2016م: 18.

(3) جماليات الصورة في الشعر الاندلسي, الدكتور احمد خلف المفرجي, (د. ط) , دار نون للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت) : 135.

(الآخر/ الطبيعة) هو بمثابة حالة إلهام يعيشها فكان "كثير التأمل في المشاهدات وكانت نظراته تقود عقله، وترسم له طرق التفكير وأنواع الخيال، فكانت كل معلوماته وآرائه من طرق النظر والتأمل في جمال الالوان وتناسق الاشياء فاصبح عقله اشبه بخزانه منظورات، وقد حملته دقة النظر على دقة التعبير" [1] وعلى وفق ذلك فإن (الآخر/ الطبيعة) حالة يتداخل فيها الانساني بغير الانساني، فالشاعر ابن خفاجة فُتن بزهرة الخيري التي تنشر رائحتها ليلاً، كغيره من شعراء الاندلس فكلفوا بوصفها وخلعوا عليها كثيراً من الصفات الانسانية [2].

إن ابن خفاجة قد اجاد في رسم الصورة التي تساعدت وتساندت على إبراز قيمتها الجمالية اكثر من صورة تشبيهية، وقد حاول الشاعر تأكيد هذه الصورة وابرزها للمتلقي باستعماله الاداة كأنما التي تعطي طابعاً توكيداً اكثر من الكاف [3].

وقد يصور مشهداً حربياً في اثناء وصفه زهرةً ما كما في قوله يصف الشقيق [4]:

يا حبذا والبرد يزحف بكرة جيشاً رحيق دونه وحريق

حتى اذا ولى واسلم عنوة ما شئت من سهل وذروة نيق

اخذ الربيع عليه كل ثنية فبكل مرقبةٍ لواء شقيق

ذلك لأن الاندلس ارض جهاد وكفاح ويرى أحد الباحثين أن في هذه الابيات دقة واناقة وطرافة في الوصف حين اضفى عليه مسحة حربية حتى إن منهجه

(1) الادب الاندلسي التطور والتجديد: 504.

(2) ينظر: الشعر الاندلسي في عصر الموحدين, الدكتور فوزي عيسى, الطبعة الاولى, دار الوفاء لدنيا الطبع والنشر, الاسكندرية, 2007م: 139.

(3) ينظر: الخصائص, ابو الفتح عثمان بن جني, تحـ محمد علي النجار, دار الكتاب العربي, بيروت, لبنان, د. ت: 1/ 137.

(4) ديوان ابن خفاجة: 355.

واسلوبه فيها يذكرنا بطريقة ابي الطيب المتنبي في اسباغ اجواء الحروب على الطبيعة فيرفع فوق كل رابية ومرتفع الوية الشقيق دلالة على الانتصار [1].

فضلاً عن ذلك الوصف فقد عمد الشاعر ايضاً إلى وصف زهرتين مجتمعتين هما زهرة الاقحوان والشقيق اذ يقول [2]: [كامل مجزوء]

يا هزة الغُصن الوريق وبشاشة الروض الانيق

أأتتكما بُشرى بسقيا أم سلام من صديق

فهززت من عطف نَد وسفرت عن وجه طليق

ولقد اقول اذ سرى بين الاقاحي والشقيق

نفسي ونى فكأنه من رقة لفظ الشفيق

يبتدئ الشاعر هذه المقطوعة بأداة النداء وكأنه ينادي من يسمع ولكنه في الحقيقة ينادى زهرة يتدلى عليها ندى الصباح وكأنه يصف إحساسه ومشاعره تجاه صديق له؛ فقد صور ابن خفاجة "كيانه مع الطبيعة وكأنها جزء منه أو صديق لا ينفصل عنه، وهذا الاحساس ينمو كثيراً مع الشاعر كأن الطبيعة تحاكيه ويحاكيها وعندما يتكلم ترد عليه، فهذا الامتزاج بين الشاعر والطبيعة يعبر عن رمزية اللحظات الشعورية والاحساس الجميل والنفسية المرتاحة التي كان الشاعر يعيشها في احضان الطبيعة" [3].

(1) ينظر: الطبيعة في شعر ابن خفاجة الاندلسي دراسة في البنية الموضوعية ولغة الشعر، عبدالحسين طاهر محمد الربيعي، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية الاداب، بإشراف الاستاذ المساعد الدكتور خالد لفتة باقر، 1419ه – 1998: 98.

(2) ديوان ابن خفاجة: 42.

(3) الدلالات النفسية في شعر الطبيعة الصامتة لدى ابن خفاجة الاندلسي، استاذ مساعد الدكتور خالد عبدالكاظم عذاري، غفران كريم عودة، مجلة ابحاث البصرة للعلوم الانسانية، المجلد (43) ، العدد (1) ، 2018م: 539.

إن الشاعر يصف الغصن الوريق بما يبعثه في نفسه من بشاشة وكرم وعطاء وفرح وكأنه يرى صديقه؛ اذ إن صلته "بالطبيعة صلة الصديق بالصديق، يحبها كما يحب الانسان أعز الناس عليه، ويطلب اليها أن تقوم وسيطاً بينه وبين اخوانه فخلانه البعيدين عنه في حمل التحية اليهم. بل أن هذه الصلة قد تبلغ ضرباً من الاجلال والتقديس، فيقسم بها كما يقسم الانسان بمن يجله ويقدسه"[1]، إنه عبر هذه العلاقة يشعر بحالة من السعادة والأنس التي ترتبط بوصف الندى اذ يقول (هززت عطف الندى) ليقول في آخر النص:

ولقد أقول اذ سرى بين الاقاحي والشقيق

نفسي ونى فكأنه من رقة لفظ الشفيق

ففي هذين البيتين يصف القول الجميل بأنه يسري بين زهور الاقاحي وشقائق النعمان وقد "اكثر الشعراء الاندلسيون من وصفه واتسع خيالهم وسما بها إلى حد جعلوها فيه شاخصة ناطقة، واسبغوا على الوانها من ذواتهم احساساً بجمالها" [2].

فضلاً عن (الآخر/ الزهريات) فقد ذكر الشاعر (الآخر/ الطبيعة/ الثمريات) فالاثمار لم تكن اوفر حظاً من الازهار، فالأنواع التي ذكرها الشاعر من الثمريات في ديوانه قليلة وهي مقتصرة على النارنج والتين والعنب والرمان، فيقول في وصف ثمرة النارنج في غصنه [3]: [الطويل]

ومحمولة فوق المناكب عِزة لها نسب في روضة الحسن معُرق

رأيت بمرآها المنى كيف تلتقي وشمل رياح الطيب كيف تفرق

(1) شعر الطبيعة في الادب العربي, الدكتور سيد نوفل, مكتبة الخانجي بمصر, مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية, القاهرة, 1945: 278.

(2) صورة اللون في الشعر الاندلسي(دراسة دلالية وفنية) الاستاذ الدكتور حافظ المغربي, الطبعة الاولى, دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت- لبنان, 1429ه- 2009م: 48.

(3) ديوان ابن خفاجة: 70.

يضاحكها ثغر من الشمس واضح ويلحظها طرف من الماء أزرقُ

وتجلى بها للماء والنار صورة تروق فطرفي في حيث يغرقُ يحرقُ

إنه يقدم هذه الثمرة على أنها محمولة فوق المناكب لكون هذه الشجرة عالية ومرتفعة وتكون الثمرة في منطقة مرتفعة وكأن لها عزة في ارتفاعها وشموخها فيرتفع "بنانجته وسمو بها نفسياً، فيصورها متخيلاً اياها فوق غصونها ذات شرف رفيع، ونسب عريق، مشخصاً اعناقها حاملة لها" [1]. فضلاً عن أن لها جذراً قوياً صلباً ذا نسب عريق في التراب فهي شامخة لا تتأثر بحركة الرياح ولا ضوء الشمس حتى إن الناظر ليجدها كثيفة الاوراق والاغصان يعانق بعضها بعضاً ولها طعم ورائحة ولون جميل يشد الناظر اليها. أنه ههنا لا يحيلنا إلى "لون النارنج الاحمر مباشرة ولا يصرح به، وانما يأتي لونه ايحاء فيستقطب كل ما يحيط به من الوان، فثغر الشمس المشرق الابيض يضاحكها، وعين الماء بزرقتها تخطب ودها، رانية أما هي فتجمع بين صفاء الماء وحمرة النار في اشراق وابهار، يروق عين الشاعر فيغرق طرفه في مائها، ويحرق في نارها، ليتوحد لون الماء والنار معنوياً" [2]. ولأنها مهجنة فإن فيها طعماً وحموضة قوية حتى لكأن فيها حرقة. ثم إن لونها يقرب من الاحمرار ولاسيما عند الغروب الأمر الذي دفع بالشاعر لأن يقف "متسائلاً عن حقيقة ما أبصرت عيناه، فتارة تتراءى له الثمار جمراً على الاغصان وتارة اخرى تبدو خدوداً محمرة ابرزتها الهوادج" [3] مشبهاً الاحمرار بوجه محبوب آخر وكأن الشاعر يصف وجه امرأة صقلية مهُجنة بين العربية والصقلية. إنها صورة خاصة لفاكهة ارتبطت بالبيئة الاندلسية تخالف ما تصف به الثمار في المشرق العربي.

ويقول في ثمرة العنب الاصفر [4]:

(1) مبنى قصيدة وصف الطبيعة، الاستاذ المساعد الدكتور خالد لفتة باقر: 13.

(2) صورة اللون في الشعر الاندلسي دراسة دلالية وفنية: 69 – 70.

(3) الثمريات في الشعر الاندلسي، دراسة موضوعية، محمد يوسف بنات، مجلة جامعة الازهر – غزة، سلسلة العلوم الانسانية، المجلد (17) ، العدد (2 –ب) ، 2015م: 27.

(4) ديوان ابن خفاجة: 245– 246.

وصـــفراء طلقـــت بنتـــاً لهـــا ومـــا للكـــرام ومـــأتى الحـــرام
أمُـــص مراشـــفها لوعـــة واذكـــر مـــا بيننـــا مـــن ذمـــام
فعـــج تتصـــفح بـــديع البـــديع وتلمـــح ســـلامة شـــعر الســـلامي
وعـــش تثنـــى انثنـــاء القضـــيب ســـروراً وتســـجع ســـجع الحمـــام
وتحمـــــل ثوبـــــك خطيـــــة وينطـــق عنـــك لســـان الحســـام

في هذه المقطوعة يمزج الشاعر بين شكل او هيئة (الآخر/ العنب) وما ينتجه من خمر؛ اذ أن العنب بنوعيه "الابيض والاسود من الثمار الطرية التي تمنع الجوع والعطش في أن واحد، وقد أثار شكله ولونه مخيلة الشعراء" [1]، وإن كان ما يتحدث عنه ههنا يدخل في منطقة الحرام، وعلماً إن هذا النوع من العنب ذا اللون الاصفر هو "الذي يتناوله الاغنياء، ويصبح محرماً اذا يعصر ويخمر" [2] وأنه ذو مذاق مختلف له قدرة على نشر المتعة بين الشاربين حتى إن الشاعر شبه عملية شربه هذه الخمرة (الصفراء) الناتجة من العنب بمص شفتي امرأة يجالسها فشخص من الآخر العنب/ الخمرة آخر ثانياً هو امرأة وقد "هتف ابن خفاجة بالخمر في جو الطبيعة المشرق الجميل، وكأن الخمر معنى واحداً من معاني الطرب المتعددة في الطبيعة" [3]، وعلى وفق السياق نفسه في الحديث عن العنب الاسود[4]:

[طويل]

واسود معســول المجــاج لــو إنــه لمى شفة لم اروَ يومــاً مــن القبــل

(1) صورة الآخر في الشعر الاندلسي والمغربي, الاستاذ الدكتور احمد حاجم الربيعي, الطبعة الاولى, دار غيداء للنشر والتوزيع, عمان, 2019م- 1440ه: 270.

(2) ابن خفاجة شاعر وناثر في وصف الطبيعة، عصام الدين بن أحمد، متاح على الرابط، https://www.researchgate.net/publication/312164557_abn_khfajt_shar_wnathr_fy_wsf_altbyt.657 :

(3) شعر الطبيعة في الادب العربي: 280.

(4) ديوان ابن خفاجة: 350.

حكى ليلــة الهجــر اســوداداً وإنــه لا شهى واندى من جنى ليلة الوصل
فللـــه طـــود للجزالـــة راســـخ على الجد يهتز ارتياحاً الـــى الهـــزل
ينيل علـــى العـــلات بـــيض مكـــارم تريك الجبال الشم في عـــدد الرمـــل
ويطلـــع منهـــل النـــدى مـــتهللاً طلوع وميض البرق في البلد المحـــل
ويمضي اذ كع [1] الشـــجاع مهابـــة مُضى لسان النار في الحطب الجـــزل

ففي البيتين الاولين يرسم الشاعر مفارقة نفسية تصويرية بين اللون والطعـم؛ اذ شبه سواد العنب بليلة هجر المحبوب لما يحمله اللون الاسود من دلالات سـلبية، هي الوحشة والظلمة والهلع لكنه جعل طعمه لذيذاً عند اقترانه بالعسل فهو اشهى لذة مما قد يجنيه من المحبوب ليلة الوصل [2] مؤكداً أن لهذا (الآخـر/ العنـب) الاسـود طراوة يهتز لها الانسان ارتياحاً في الجد والهزل مشبهاً لون العنب ولاسـيما اذا مـا أينعت الاشجار بوميض البرق مثلما شبه توهجه بامتداد النار في الحطب حـين كـع الشجاع.. وهكذا غدا العنب/ الخمر ههنا آخر يبعث فـي الـذات الراحـة والنشـوة ولاسيما إن الشاعر لم يشر إلى أي وجود لصاحب أو مجالس يشاركه الشرب.

ويقول ايضاً في تفضيل الرمان على العنب "حضرت يوماً مـع اصـحاب لـي، ومعهم صبى متهم في نفسه، وانفقوا انهم تباروا في تفضيل الرمـان علـى العنـب، فأنبرى ذلك الصبي فأفرط في تفضيل العنب، فقلت بديهاً اعبث به [السريع]

صـــلني لـــك الخيـــر برمانـــه لـــم تنتقـــل عـــن كـــرم العهـــد
لا عنبـــاً امـــتص عنقـــودهُ ثـــدياً كـــأني بعـــد فـــي المهـــد

(1) كع: الجبان الضعيف، لسان العرب, الامام العلامة ابن منظور (ت: 711ه) , اعتنى بتصـحيحها امين محمد عبدالوهاب, محمد الصادق العبيدي, الطبعة الثالثة, دار احياء التراث العربي, (د.م) ، 1419ه-1999م: مادة (كعع) .

(2) ينظر: صورة اللون في الشعر الاندلسي (دراسة دلالية وفنية) : 74.

وهـــل يـــرى بينهمـــا نســـبة مـــن عـــدل الخصـــية بالهـــدِ

فخجل خجلاً شديداً، وأنصرف" [1].

يستهل ابن خفاجة مقطوعته الشعرية بالدعاء (صلني لك الخير) لمـن يصـله بالرمان ليمتص حباته كما الطفل الرضيع يمص ثدي أمـه. وخصوصـاً "فـي مقـام العطاء؛ فيكون الاعتراض منبهاً للسامع ومحفزاً كي يسمع ما يقـال ويجيـب طلـب المُلقي لما في هذا الدعاء من تلين للقلب وايقاظ حسن العطاء في نفسه" [2].

وكذلك شبه الشاعر الرمان ببعد جسدي عند المرأة [3] في آخر بيت اذ يقول:

وهـــل يـــرى بينهمـــا نســـبة مـــن عـــدل الخصـــية بالهـــد

ولعل إضفاء الصفات الانسانية على مظاهر الطبيعة بعامة يحكي حاجتـه إلـى آخر/ انسان رجلاً يصاحبه ويجالسه أو امرأة يحبها ويعاشرها.. فهل هي محاولة منه للتعويض؟.

واذ يصف الشاعر الاشجار ويتحدث عنها فلعل ذلك نابع من إن الرموز التـي تبعثها الاشجار بأنواعها ترتبط بحالة تقديسية في العصور القديمة، فضـلاً عـن أن الاشجار تمثل بيئة مكانية تتضح بها علاقة الشاعر بالطبيعة فقد اولـع الاندلسـيون بالرياض واستعاروا للاشجار صفات انسانية [4].

(1) ديوان ابن خفاجة: 368، بدائع البدائه، علي بن ظافر الازدي، تحـ محمد ابو الفضل ابـراهيم، (د.ط) ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1970: 377.

(2) الخصائص البلاغية في شعر ابن خفاجة الاندلسي، اياس غالب الرشيد، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، كلية الاداب والعلوم الانسانية، قسم اللغة العربية وادابها، بإشـراف الـدكتورة منيـرة فاعور، 1430ه – 2009م: 102.

(3) ينظر: حركية الصورة في الشعر الاندلسي دراسة تحليلية, الاستاذ الدكتور احمد حاجم الربيعي, الطبعة الاولى, دار غيداء, للنشر والتوزيع, عمان, 2019م- 1440ه: 116.

(4) ينظر: صورة الآخر في الشعر الاندلسي والمغربي: 273.

ويقول في شجرة الايك [1]: [كامل]

واراكـــة ضـــربت ســـماء فوقنـــا تنـــدى وافـــلاك الكـــؤوس تـــدار
حفـــت بـــدوحتها مجـــرة جـــدول نثـــرت عليـــه نجومهـــا الازهـــار
فكأنهـــا وكـــأن جـــدول مائـــه حســـناء شـــد بخصـــرها زنـــار
زف الزجاج بهـــا عـــروس مدامـــة تجلـــى ونـــوار الغصـــون نثـــار
في روضة جنح الـــدجى ظـــلاً بهـــا وتجســـمت نـــوراً بهـــا الانـــوار
غنـــاء ينشـــر وشـــيهُ البـــزار لـــي فيهـــا ويفتـــق مســـكهُ العطـــار
نام الغبار بهـــا وقـــد نصـــح النـــدى وجـــه الثـــرى واســـتيقظ النـــوار
والمـــاء فـــي حلـــى الحبـــاب مُقلـــد زرت عليـــه جيوبهـــا الاشـــجار

فالمكان رحب جميل، تدار فيه كؤوس الخمر في مجال طرب أو انس. ولابد من إضفاء صفات انسانية/ انثوية على بعض من مجالي كل مشهد طبيعي يتحدث عنه اذ أنه يقارب بين "عالم المرأة وعالم الطبيعة نفسياً وجمالياً" [2]، خالعاً على الطبيعة صفات المرأة الجمالية، محاولاً التوفيق بينهما في مواطن النقاط الجمالية [3]، ولعل في ذلك نوعاً من التعويض تمارسه الذات من حيث انعكاس رغبتها في التواصل مع

(1) ديوان ابن خفاجة: 351، و281 – 282 و184.

(2) علاقة اللون بالصورة الشعرية في شعر ابن خفاجة الاندلسي 450-533ه، زاهر بن بدر الغسيني – جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، متاح على الرابط، http://mohamedrabeea.net/library/pdf/2b7fe94b-7483-4e40-b5ff-6e565266a4d2.pdf: 123.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 123.

آخر ترتاح اليه وتأنس به؛ فالامكنة تتميز بالمواقف الايجابية للذات اضافة إلى ذلك تتمتع بقيم جمالية والألفة والانتماء وتجعل الشعراء يتمزجون بها [1].

ويقول في وصف الليل [2]: [طويل]

وليل كما مد الغرابُ جناحهُ وسأل على وجه السجل مداد

به من وميض البرق والجو فحمة شرار ترامى والغمام زنادُ

سريتُ به أحييه لا حية السُرى تموت ولا ميت الصباح يعاد

يقلب مني العزم اسنان مُقلة لها الافق جفن والظلام سواد

بخِرقٍ لقلب البرق خفقة روعةٍ به ولجفن النجم فيه سُهادُ

تتخذ معظم قصائد الشاعر من الليل غطاء يبث بوساطته الشاعر اوجاعه وهمومه. وقد وصف الشاعر بأنه شاعر الليل؛ فهو من أكثر الشعراء الذين افادوا في وصف افلاك الليل واجوائه في التعبير عما تواجهه نفسه من مشاعر وافكار لتنعكس عبرها حوارية (الذات/ الآخر) فقد وقف الشاعر امام لوحة (الآخر/ الليل) "وقفة متأملة تضيف إلى الصورة بعداً جمالياً ومضموناً متلاحماً طبيعياً مع اجزاء الحدث الاخرى" [3]، والشاعر في هذا النص يحدد هوية (الآخر/ الليل) عن طريق حرف الكاف فالليل حامل للدلالات الرمزية والنفسية والايحائية، واذ يبتدي الشاعر البيت الثاني بالجر أو الخفض فلعله يدل بذلك على النقص والشعور بالفراغ ولاسيما اذ كان الليل يتصف بالسواد الداكن؛ لقد شبه الشاعر سواد الليل بجناح الغراب؛ وذلك لأن "سواد الليل كان مسرحاً لوصف الشاعر واستعمل من أجل ذلك جناح الغراب

(1) ينظر: الذات والآخر في شعر عمر ابن ربيعة، صبا عصام عبد الحسين نومان الدليمي، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية التربية، قسم اللغة العربية، بإشراف الاستاذ الدكتور هناء جواد عبدالسادة، 1431ه – 2010م: 62- 63.

(2) ديوان ابن خفاجة: 132.

(3) الليل في الشعر الجاهلي، جليل رشيد فالح، مجلة اداب الرافدين، العدد (9) ، 1987م: 552.

للاستدلال على السيطرة ووحشية الليل" [1]،فالليل "يمدّ جناحيه، فينثر السواد، المثير للخوف والقلق والممتزج بالتشاؤم" [2]، ومعروف عن الغراب بأنه لا يخفى ما يوحى به من الشؤم وزيادة الاحساس بالسواد والظلمة والتبرم بهما [3]. إن سريان اللون الاسود وتحركه في السماء يربكه وميض البرق الذي كأنه يخرج من فراغ فحمه الليل أو اسوداده، فالبرق في السماء صورة نقلها الينا الشاعر لبرق تألق في ليل فأهاجه [4]،"فالزمن هنا يبدو ايجابياً يطوعه الشاعر لارادته"[5]، واذ يقول (لا حية السرى تموت) فإن النوم ههنا موت مجازي يعيد الصباح وكأن الشاعر يستجدي الصباح فلا يلقاهُ، محاولاً أن يقم عملية تفاعل أو انصهار بين صفات الليل وصفات الانسان؛ وكأن الظلام اصبح طيفه الذي لا يفارقه، ولن تخرقه إلا روعة البرق. وما يساعده على السهر إلا حركة النجوم.

إن الليل سكون وسواد وموت مجازي للنائم لكن ابن خفاجة يرفض الخضوع للعبة الحياة والموت باحثاً عن اليقظة وكأنه يخاف من الوحدة والعزلة فالموت.

وقال يصف البحر [6]: [سريع]

ولجةٍ تفرق أو تعشق فماتنى احشاءُها تخفقُ

(1) الليل في قصائد ابن خفاجة، استاذ مساعد دكتور كوران صلاح الدين شكر، مجلة الاستاذ، المجلد الأول، العدد (210) ، 2014م – 1435ه: 53.

(2) الليل في الصورة الشعرية عند ابن خفاجة دراسة في المصادر والدلالة، شاهر عوض الكفاوين، المجلة الاردنية في اللغة العربية وادابها، المجلد (7) ، العدد (4) ، ذو القعدة 1432ه – تشرين الأول، 2011م:

(3) ينظر: الطبيعة الاندلسية واثرها في استثمار اللون الشعري، م. لؤي صيهود فواز، مجلة كلية التربية الاساسية، العدد الثالث والسبعون، 2012م: 247.

(4) ينظر: حركية الصورة في الشعر الاندلسي: 136.

(5) الأنا والآخر في المعلقات العشر، سعد سامي محمد، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية الاداب، قسم اللغة العربية، بإشراف استاذ المساعد الدكتور جنان محمد عبدالجليل، 1433ه – 2012م: 166.

(6) ديوان ابن خفاجة: 137.

شـــارفتها وهـــي بمـــا هاجهـــا مـــن الصـــبا مُزبـــدة تقلـــقُ

فخلتنـــي فـــي شـــطها فارســـاً قـــرب مِنـــهُ فـــرس ابلـــقُ

رمى الشاعر في اختياره كلمة (لجة) إلى الإيحاء بمشاعر الخـوف والرعـب والرهبة في نفس المتلقي وذلك من حيث ارتباطها بالظلمة وتلاطم الامواج وهيجـان الريح لتأتي صورة (الآخر/ البحر) ههنا صورة سوداوية [1] فحركـة هـذا (الآخـر/ البحر) حركة داخلية تشكل من هذا المكان (الآخر) نفسه فضاء معادياً كون هذا البحر أو المكان يرتبط بالحالة النفسية وشعور الذات تجاهه متوزعة بـين الانغـلاق علـى النفس أو الانفتاح نحو الخارج وكأن نظرة الشاعر إلى هذا البحر نظرة انسـانية [2]، بمعنى أنه يضفي عليه صفات الانسانية فكأن له احشاء تخفق ليكشـف عـن حركـة الامواج القوية والمرعبة مما يشير إلى حالة القلق والخوف التي تعمل في نفسه وإن كان يصور نفسه فارساً وسط هذا البحر يمتطي فرساً ابلق ليواجه على ظهـره هـذا (الآخر/ البحر) الذي يخشاه لشدة هوله وعلو لجته.

وقال وقد طلع عليه القمر في بعض ليالي اسفاره، فجعل يطرق في معنى كسو وأقماره إهلاله تارة وسراره... [3]. [بسيط]

لقد أصخت إلى نجـواك مـن قمـر وبت ادلج بـين الـوعي والنظـر

لا اجتلى لمحًا حتـى اعـى مُلحًـاً عدلاً من الحكم بين السمع والبصر

وقد ملات سواد العين مـن وضـح فقرط السمع قرط الانس من سـمر

(1) ينظر: صورة البحر في الشعر الاندلسي دراسة فنية جمالية في نماذج مختارة، عزيزي صباح، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي أم البوقي، باشراف الاستاذ الدكتور بوحوش مرجانة، 2014-2015م – 1435ه-1436ه: 58- 59.

(2) ينظر: الآخر في شعر ابن حمديس الصقلي (ت: 527هـ) ، علاء عطية شعبان حمزة العبيدي، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية الاداب، قسم اللغة العربية، بإشراف مساعد دكتور نادية فتحي هادي الحيالي: 187.

(3) ديوان ابن خفاجة: 130.

فلو جمعت إلـــى حســـن محـــاورة حزت الجمالين من خُبر ومن خبـــر
وإن صمتَّ ففي مرآك لـــي عِظـــةُ قد افصحت لي عنها الســـن العبـــر
تمر من نـــاقص حـــورا ومكتمـــلٍ كوراً ومن مُرتقٍ طوراً أو منحـــدرِ
والناس من معرض يلهى وملتفـــت يرعى ومن ذاهـــل ينســـى ومـــدكر
تلهـــو بســـاحات أقـــوام تحـــدثنا وقد مضوا فقضوا أنا علـــى الأثـــرِ
فإن بكيت وقد يبكى الجليـــد فعـــن شجو يفجر عين الماء في الحجـــرِ

تمثل العلاقة بين (الشاعر والآخر/ القمر) نوعاً من الاسقاط النفسي؛ ذلـــك إن علاقة الشعراء – بعامة – مع القمر اتخذت أشكالاً متنوعة من حيث طبيعة العلاقـــات المتوترة والمتناقضة مع هذا (الآخر/ القمر) في اشكاله الذكورية والانثويـــة، فـــالقمر يمكن أن يعد حالة استثنائية اذ يشكل في بزوغه من بين أجنحة الظلام ضوءاً يســـير على خطاه الشاعر، ولكن الشاعر يبدأ قصيدته هذه بأنه يستمع إلى القمر وهـــو بـــلا شك استماع ذاتي أو نفسي يحوي بوساطته إلى حاجته إلى من يهديه السبيل ليصـــل إلى حالة من الاتزان.

واذ يبتدأ كلا من شطري البيت الأول بفعل ماضي (أصختُ) و (بتُ) فإن صيغة الفعل الماضي تخرج عن دلالتها على الزمن الماضي لتعطي دلالـــة علـــى الحضـــور، فالاصاخة، بدأت في زمن مضى وتستمر في اللحظة الحاضرة. وتتجلى الاســـتمرارية في الانتقال المفاجئ إلى صيغة الزمن الحاضر في الجملة أجتلي وأعـــي فـــي البيـــت الثاني [1]، وكأن القمر قد تحول إلى ذات أخرى تحاور الشـــاعر طالبـــاً منهـــا – أي الشاعر – المعونة على إضاءة الطريق وإنارة السبيل. وهكذا يغـــدو القمـــر محـــاوراً جميلاً يتصف بجمال المنظر وجمال النفس، لكنه بضوئه يكتمل وينقص بحسب الايـــام فمن القوة إلى الضعف ومن السطوع إلى الخفاء.. بما يشيئ بأن أنـــا الشـــاعر " قـــد

(1) ينظر: جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنيوية في الشعر, كمال ابو ديب, الطبعة الثالثة, دار العلم للملايين, بيروت– لبنان, 1984: 232.

شغلها هاجس الموت والفناء، فوجد في (الآخر/ القمر) صورة تذكره بالحياة والموت، طلع القمر عليه ليلة من ليالي اسفاره، وراح يصغي إلى نجواه، وتوغل مبكراً بين حالات الوعي الفكري والنظر إلى المال وانتهاء الحال" [1]، فحركة القمر الكونية كأنها حركة الناس واعمارهم، فكل نقص يأتي بعد زيادة، وهي في الأساس أبيات تدعو إلى الاعتبار من دورة حياة القمر. إن نظرة الشاعر إلى الكون في اطاره العام نظرة ايمانية يقينية قائمة على أساس الدعوة إلى تأمل مظاهر الكون وتصوره [2].

وقال في وصف جبل [3]: [طويل]

وارعن طماح الذوابة باذخ يطاول أعنان السماء بغارب
يسد مهب الريح عن كل وجهة ويزحم ليلاً شهبه بالمناكب
وقور على ظهر الفلاة كأنه طوال الليالي مُطرق في العواقب
يلوث عليه الغيم سود عمائم لها من وميض البرق حمرُ ذوائب
اصخت إليه وهو اخرس صامت فحدثني ليل السرى بالعجائب
وقال الاكم كنت ملجأ فاتك ومـــوطن أواه تبتل تائب
وكم مربي من مدلج ومؤوب وقال بظلي من مطي وراكب

إن الصورة التي يرسمها ابن خفاجة (للآخر/ الجبل) تقوم على أساس تشكيل واضح يعكس تفاصيل هذا الجبل وجزئياته، وقد اشير إلى أن هذه القصيدة استقاها الشاعر من مجنون ليلى في قصيدته التوباد [4]، إذ يقول [1]:

---

(1) صورة الاخر في الشعر العربي من العصر الاموي حتى نهاية العصر العباسي, الدكتور سعد فهد الذويخ, الطبعة الاولى, عالم الكتب الحديث, اربد, الاردن, 1430ه- 2009م: 280.

(2) ينظر: الطبيعة في شعر ابن خفاجة الاندلسي دراسة في البنية الموضوعية ولغة الشعر، عبد الحسين طاهر محمد الربيعي: 156-159.

(3) ديوان ابن خفاجة: 216.

(4) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي: 447.

وأجهشت للتوباد حين رأيته وكبر للرحمن حين رأني

لا يمكننا أن نتصور صورة لمثل هذا الجبل لا ترتبط بالضخامة والعلو والكثافة فهو سلسلة من امتدادات جبلية تعمل لضخامتها بوصفها سوراً يسد مهاب الريح وكأن تضاريسه متلاحمة لشدة تزاحمها وكثافتها، فهو صخرة صلدة متماسكة لا تهزها ولا تحركها عواقب الأمور وشدائدها؛ فقد ترسخت في مساماته ورواسيه الممتدة في باطن الأرض ولوجود تداخل بين قمة الجبل والغيم الأسود فقد شبه ابن خفاجة قمة هذا الجبل بعمامة رجل كاهن كبير له مهابة [2].

إن هذا التشخيص الإنساني لـ (الآخر/ الجبل) تنصهر فيه قيم معنوية وسمات مادية حتى "اختلط التشخيص بالاسقاط، ليرسما هذه الصورة المؤثرة والجميلة"[3].

لقد اختار الشاعر لهذا الجبل الشاهق "انموذجين متناقضين: فهو ملجأ حصين للفاتك القاتل يلجأ ويتحصن في الجبل من الاعين فيأمن فيه، وهو أيضاً موطن للزاهد الداعي ربه التائب عن ذنوبه يترك اهله وناسه ويتخذ الجبل موطناً له ويعتكف فيه ويعيش حياته ذاكراً الله داعياً إياه ومصلياً تائباً عن ذنوبه" [4]، إن هذه الصورة للجبل بوقوفه شامخاً، صامداً بوجه الظروف والشدائد هو اسقاط لحالة نفسية يمكن أن تعود للشاعر؛ فقد كانت رحلة الجبل عبر الدهر هي رحلة الشاعر عبر الزمن إنها محنة

(1) كتاب الاغاني, لابي فرج علي بن الحسين الاصفهاني (ت: 356ه-976م) , تحـ الدكتور احسان عباس, الدكتور ابراهيم السعافين, الاستاذ بكر عباس, الطبعة الثالثة, دار صادر, بيروت, 1429ه- 2008م: 35/2.

(2) ينظر: الطبيعة عند المتنبي, د. عبدالله الطيب, منشورات وزارة الاعلام- الجمهورية العراقية, بغداد, تشرين الثاني 1977: 36.

(3) تشخيص الطبيعة والاسقاط في شعر ابن خفاجة: 376.

(4) وصف الجبل لابن خفاجة الاندلسي ت 533، دراسة تحليلية، الدكتورة هدى شوكت بهنام، مجلة المورد، المجلد السابع والعشرين، العدد (1) ، 1419هـ/1999م: 115.

الزمن المحنة الحقيقية التي تزعج ابن خفاجة وترهق أعصابه [1]، فإن القوة والجبروت تقابله قوة وإرادة الإنسان الذي يتغلب على الشدائد وهكذا يغدو هذا (الآخر/ الجبل) معادلاً لما تتوسمه الذات في نفسه من قوة وشموخ وصبر.

واذ ننتقل للحديث عن الطبيعة الحية بوصفها آخر في شعر ابن خفاجة فلا بد من أن نؤكد بدأ أن تعامل ابن خفاجة مع الطبيعة وولوعه بوصفها واسقاط ما فيه نفسه على مظاهرها صامتة وحية إنما يشير إلى حالة أو حالات نفسية يعانيها فيعبر عنها عبر الحديث عن هذا (الآخر/ الطبيعة) ومحاورته.

وقال يحكي لقاءه ذئباً [2]:

[طويل]

سرى ترتمى ركضاً به كل موجةٍ ترامى بها بحر من الليل اخضرُ

ولا صاحب إلا طرير مهند ومعتدل من لدن المهزةِ اسمرُ

واطلس زوار مع الليل اغبشُ سرى خلف استار الدجى تنكر

تثاءب من مس الطوى فهو يشتكي فيعوى ولقد لفته نكباء صرصرُ

ودون امانيه شرارة لهذم يقلب فيها مثلها حين ينظرُ

فمن جوعه تفديه بي فهو يدني ومن روعة تثنيه عني فيقصرُ

تتجسد في هذه القصيدة صورة تبحث في العلاقة بين (الانا والآخر) غير الأليف متمثلاً بالذئب المتوحش.

يبدأ الشاعر نصه بالفعل (سرى) فقد كان خروجه في الليل الذي شبه شدة ظلامه ببحر يترامى.. ولا صاحب له إلا السيف، ليخرج له من وسط هذا الظلام الدامس ذئب أطلس يعاني من الجوع في يوم بارد باحثاً عن فريسته التي وجدها في

(1) ينظر: من صور الابداع الاندلسي، أ.د. محمد مجيد السعيد، مجلة جامعة الانبار للغات والآداب، العدد (1) ، لسنة 2009: 16.

(2) ديوان ابن خفاجة: 180.

هذا الشاعر فتهيأ (الذات/ الشاعر) لمواجهة هذا (الآخر/ الذئب) الذي وصفه بأنه يشتكي ويعوي من شدة جوعه ولكن ما يمنع الذئب من مهاجمته هو خوفه من السيف ذو الحافة القاطعة القوية، فيقف الذئب المعروف "بالغدر، والخبث، والخيانة، والظلم، والجرأة، والنشاط، والوقاحة، والعقوق واليقظة واللؤم والخيلاء"[1]، عاجزاً امام شجاعة الشاعر في مواجهته ولاسيما وهو يحمل سيفه/ صاحبه ليعود هذا الآخر القهقري خائباً مخذولاً. إنها تكثيف للحظة زمنية فارقة بين الحياة التي تمثلها شجاعة الشاعر واستقواؤه بسيفه والموت الذي يجسد هذا (الآخر/ الذئب) المفترس، معتمداً اللون فضلاً عن الحركة من أجل زيادة تكثيف التأثير في الصورة [2].

وقال في صفة طائر يصدح [3]:

[طويل]

وهاتفة في البان تملي غرامها علينا وتتلو من صبابتها صُحفَا

عجبت لها تشكو الفراق جهالة وقد جاوبت من كل ناحية إلفا

ويُشجي قلوب العاشقين أنينها وما فهموا مما تغنت به حرفا

ولو صدقت فيما تقول من الأسى لما لبست طوقاً ولا خضبت كفَّا

على الرغم من أن هذه الطريقة في وصف الطير، متبعة عند الشعراء الأندلسيين الذين يعرضون وصفاً لحمام متأثرين بترانيم وترجيع صوتها [4]، فإن

(1) اسماء الحيوان في القران الكريم – دراسة دلالية ومعجم، عمر عليوي، جامعة فرحات عباس، سطيف (الجزائر) ، كلية الاداب واللغات، قسم اللغة والادب العربي، بإشراف الدكتور الزبير القلي، 2011 – 2012م: 104-105.

(2) ينظر: البنية الايقاعية في شعر ابن خفاجة الاندلسي (451-533ه) ، حسين ابراهيم موسى، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية التربية الاساسية، باشراف الاستاذ المساعد الدكتورة سعاد جاسم محمد الصميدعي، 1434ه- 2013م: 73.

(3) ديوان ابن خفاجة: 370.

(4) ينظر: حركية الصورة في الشعر الاندلسي (دراسة تحليلية) : 100.

روح الشاعر ههنا قد انصهرت مع أنغام هذا الطائر باحثة عن مجال أو حيز للتعبير عن حالة الفراغ النفسي التي يعانيها، فهذا (الآخر/ الحمام) "يشارك الشاعر احزانه والآمه، وفي هذه الصور يعمد الشاعر إلى ابراز نواحي الجمال في الحمام شكلاً وصوتاً وإنشاداً" [1]، لكنه حين يريد "أن يرتفع بأحزانه ويصور حرارة حزنه فهو يرى في نوح الحمام تصنعاً وتظاهراً بالحزن"[2]، معبراً عن أسى ارتبط بالصورة الخارجية لهذه الحمامة من حيث الطوق الذي في عنقها وكفها المخضبة، فالمشهد "برمته قائم على الصور التشخيصية للحمامة، فكل صورها مشخصة، حتى ليمكن القول إنها رمز لامرأة بعينها، أو أن الشاعر تماهى معها إلى حد أنه عاملها كحبيبة تدعي الهيام وتشكو الصبابة"[3]، ولعل الصورة الخارجية للحمامة أو الطير الذي ارتدى اللون الأسود، مخضباً كفه بلون يتماهى مع نغمة الحزن أو الشجي التي يطلقها قد دفعت بالشاعر إلى تغليب الصورة الخارجية للحمامة الحزينة على صوتها لان صوت الحمام واحد تقريباً في كل جنس أو نوع منه، وإنما يتحقق الاختلاف في فهم معنى هذا الصوت ودلالته من حيث كونه حزيناً أو فرحاً بحسب طبيعة الموقف النفسي أو العاطفي الذي يعانيه الشاعر ولكن هذا الاحساس "الوجداني بالحمامة يفتر عندما ينظر إليها الشاعر بعقله لا بقلبه فيقارن فيما بين مظهرها ومخيرها" [4].

ولعل من أهم مظاهر الطبيعة الحية وأركانها التي أدت دوراً مهماً في تجربة ابن خفاجة الابداعية هي الخيل. فثمة علاقة حميمة انعقدت بين الذات وهذا (الآخر/ الخيل)، حتى أخذت نظرة الذات له معاني ودلالات لا تخرج عن صفات القوة

(1) الآخر في الشعر الاندلسي (ابن حزم انموذجاً) ، حسن منصور محمد الفريداوي، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية التربية الاساسية، قسم اللغة العربية، بإشراف الاستاذ الدكتور يونس عباس حسين، 1432 ه – 2011م: 169.

(2) الطبيعة في شعر ابن خفاجة الاندلسي (دراسة في البنية الموضوعية ولغة الشعر) : 55.

(3) تشخيص الطبيعة والاسقاط في شعر ابن خفاجة الاندلسي: 378.

(4) الطبيعة في شعر ابن خفاجة الاندلسي: 257.

والسرعة والاصالة فضلاً عن الجمال والرقاشة.. ففرسه تارة اشقر أغر كما في قوله: [1] [سريع]

واشقر تضرم منه الوغى بشعلة من شعل البأسِ
من جُلنار ناضر لونهُ وأذنه من ورق الآس
يطلع للغرة في شقرة حبابة تضحك في كاس

وتارة أشهب. كما في قوله [2]: [سريع]

ومشرف الهادي طويل الشوى ضافي سبيب الذيل والعُرفِ
يصرف الفارس في لبدهِ طرفا به اسرع من طرف
مؤدباً لو كان مستعبداً لم يعبد الله على حرف
من انجم السعد لكنه يوم الوغى من انجم السعد

وقال في فرس [3]:

واخلق الخلق طويل الشوى مستشرف الهادي على العاملِ
حاز المدى واحتذت خصل العلى فاشتبه المحمول بالحاملِ
مُطهّم يحملُ في شِكتى ما شاءه من أسدٍ باسلِ

(1) ديوان ابن خفاجة: 123.

(2) المصدر نفسه: 280.

(3) ديوان ابن خفاجة: 269. وينظر: المصدر نفسه 208، فقد وردت مجموعة من صفات الخيل بألوانها وأشكالها كافة في معرض قصيدة له يصف فيها حال مدينة بلنسيه وقد تنادت النفوس لاسترجاعها.. التي مطلعها.

الآن سح غمام النصر فانهملا وقام صغو عمود الديم فاعتدلا

إن ابن خفاجة لم يغادر صغيرة ولا كبيرة، ولا واردة ولا شاردة مما تتسم بـه الخيول العربية الاصيلة – شكلاً ومعنى – إلا ووصفها بها؛ ذلك إن لها مهاماً كبيـرة في ساعات الحرب وساحاتها [1]، مما يبعث في نفس فارسها/ الذات الثقة والطمأنينة من جهة والسعادة والنشوة من جهة اخرى، فاذا ما تأملنا أوصاف الخيـل وصـفاتها التي وردت في النصوص الثلاثة الآنفة وجدنا انها تشكل أركان الصورة المثالية لهذا (الآخر/ الفرس) من وجهة نظر عربية خالصة كما تراها الذات وما ذاك إلا لما للخيل من دور مهم في حياة العربي سلمها وحربها، حلها وترحالها وبتفصيلاتها كافة، حتى إن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال فيها: "الخيل معقود في نواصيه الخير إلـى يوم القيامة" [2]، فأبن خفاجة من الشعراء الذين جمعوا صفات وألوان الخيول فمنهـا الاحمر ومنها الاشقر والاشهب والأدهم فكل لون من هذه الالوان يعطي صفة معينـة فالشاعر كأنه أمام روض للألوان الطبيعية [3].

وقال في وصف الناقة [4]: [طويل]

فجبـت الـدجى منهـا بـأعيس رميت بـه ركـن الـدجى فتهـدما
يقلب طرفاً فـي الكواكـب سـاميا كـان بـه تحـت الظـلام منجمـا
ومن عجب اني ارى القوسى منحنى به في يد البيداء والسـهم مرتمـى
يجاذبني رجع الحنين على السـرى كـان لـه قلبـا هنـاك متيمـا

(1) ينظر: وصف الطبيعة في الشعر الاندلسي (قراءة وعرض) ، أ.م.د. ستار جبار رزيـج، مجلـة ابحاث البصرة (العلوم الانسانية) ، مجلد (36) ، العدد (21) ، 2011م: 1، انسنة الحيوان في الشعر الجاهلي، ماهر أحمد المبيضين، عماد عبدالوهاب الضمور، حوليات آداب عـين شـمس، المجلد (43) ، يناير/مارس 2015م: 247.

(2) صحيح البخاري, محمد بن اسماعيل ابو عبدالله البخاري الجعفي, المحقق محمد زهير بن ناصر الناصر, الطبعة الاولى, دار طوق النجاة، (د.م) ، 1422ه: 4/ 207.

(3) ينظر: دفاتر اندلسية في الشعر والنقد والحضارة والاعلام, الاسـتاذ الـدكتور يوسـف عيـد, المؤسسة الحديثة للكتاب ناشر عن, طرابلس – لبنان, 2006: 804، وصف الطبيعة في الشعر الاندلسي (قراءة وعرض) : 11.

(4) ديوان ابن خفاجة: 173.

ويطربه سجع الحمامة بالضحى فيلوي إليها جيده متفهما
وما كان يدري ما الحنين على ولكنني طارحته فتعلما

يأتي حضور (الآخر/ الجمل) في النص متعالقاً مع وصف اجزاء اخرى من الطبيعة، وما حضور اجزاء الطبيعة بصورها المتحركة والصامتة في هذه النص إلا لتحتوي الاسقاطات التي يقوم بها الشاعر على صفات الناقة فتتمثل "احاسيس الشاعر وحالته النفسية عن طريق المزج بين هذه المشاعر والاحاسيس وبين أوصاف الناقة التي نقلها الشاعر"[1].

إن عناية العربي بالناقة تعود إلى قضية الموت والحياة، فموت (الآخر/ الناقة) في الصحراء يؤدي إلى موت صاحبها ومن ثمة اختار الشاعر هذه الناقة الضامرة البطن؛ ذات الهيكل اللحمي العضلي فضلاً عن أنها منحنية وسريعة الارتماء، ذلك أن انحناء الناقة حتى لكأنها فرس دليل على سرعتها في الجري ولاسيما إذا كان ذلك في الظلام، فحركة أو سير الناقة في الظلام هو تحدٍ بحد ذاته محاولاً ان يقوم بنوع من الانسجام أو الالتحام بين حنينه إلى الماضي حيث لذة العيش واجتماع شمل الاحبة، وحنين الناقة إلى مواطنها. إنها عملية اسقاط نفسي أو تجاوز للماضي عن طريق توظيف الذاكرة التي ترتبط بالاطلال بمعنى الاتجاه إلى الاحباب أو الاهل[2]، وهكذا فإن "مجابهة المصاعب الكثيرة والمتاعب الجمة التي تترتب على السير الحثيث وقطع القفار والفيافي مما يتطلب ناقة سريعة قوية"[3]، ولما كانت هذه الصورة تصف عملية العودة إلى الاصل فقد عمل الشاعر على تدشين المشهد بحالة من السعادة عبر توظيف سجع الحمام الذي هو في الأصل طرب هذا الشاعر، بعودته إلى بلده وأهله

(1) وصف الحيوان في الشعر الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين الدكتور حازم عبدالله خضر, افاق عربية (الشؤون الثقافية العامة) , بغداد, 1987: 60.
(2) ينظر: الآخر في الشعر الاندلسي (ابن حزم انموذجاً) : 166.
(3) وصف الحيوان في الشعر الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين الدكتور حازم عبدالله خضر, 1987: 63.

وهكذا تتظافر أنواع من الآخر/ الطبيعة، من آخر/ ناقة، وآخر/ حمام، وآخر/ زمـــان وسواها لرسم الصورة الكلية للذات في هذه الحالة.

References

1. **A History of Arabic Literature (Literature in Morocco and Andalusia, the era of Al-morabiteen and Al-moahideen),** Omar Farroukh, second edition, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut - Lebanon - December 1985.
2. **Aesthetics of Image in Andalusian Poetry**, Dr. Ahmed Khalaf Al-Mafarji, (Dr. I), Dar Noun for Printing, Publishing and Distribution.
3. **Al-Tabee'a ind Al-Mutanabi**, d. Abdullah Al-Tayeb, Publications of the Ministry of Information - Republic of Iraq, Baghdad, November 1977.
4. **Al-Thamariat in Andalusian Poetry**, An Objective Study, Muhammad Youssef Banat, Journal of Al-Azhar University - Gaza, Human Sciences Series, Volume (17), Issue (2-b), 2015: 27.
5. **Andalusian literature between influence and influence**, Dr. Muhammad Ragab al-Bayoumi, (Dr. I), supervised its printing and publication by the Department of Culture and Publication, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, 1400 AH - 1980 AD.
6. **Andalusian literature, development and renewal**, Dr. Muhammad Abdel Moneim Khafaji, first edition, Dar Jabal, Beirut, 1412 AH - 1992 AD.
7. **Andalusian nature and its impact on the investment of poetic color**, m. Louay Sihoud Fawaz, Journal of the College of Basic Education, Seventy-third Issue, 2012.
8. **Andalusian Notebooks on Poetry**, **Criticism, Civilization, and Media**, Prof. Dr. Youssef Eid, Modern Book Foundation, publisher, Tripoli, Lebanon, 2006.
9. **Andalusian Poetry in the Era of Al-moahideen**, Dr. Fawzi Issa, first edition, Dar Al-Wafaa for the world of printing and publishing, Alexandria, 2007.
10. **Animal names in the Holy Qur'an - a semantic and lexicon study**, Omar Aliwi, Farhat Abbas University, Setif (Algeria), Faculty of Arts and Languages, Department of Arabic Language and Literature, under the supervision of Dr. Zubair Al-Qali, 2011-2012.
11. **Art and Its Doctrines in Arabic Poetry**, Dr. Shawqi Dhaif, ninth edition, Dar Al-Ma'arif - Cairo.

12. **Bada'i Al-Bada'a**, Ali bin Dhafer Al-Azdi, under the supervision of Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, (Dr. I), The Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo, 1970.
13. **Characteristics**, Abu al-Fath Othman bin Jinni, edited by Muhammad Ali al-Najjar, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, Lebanon.
14. **Description of Animals in Andalusian Poetry, the Era of Al-Tawa'if wa Al-Murabiteen**, Dr. Hazem Abdullah Khader, Arab Horizons (General Cultural Affairs), Baghdad, 1987.
15. **Description of Nature in Andalusian Poetry (reading and presentation)**, Prof. Dr. Sattar Jabbar Razij, Journal of Basra Research (Human Sciences), Volume (36), Issue (21), 2011: 1,
16. **Description of the Mountain by Ibn Khafaja Al-Andalusi, T. 533, Analytical Study**, Dr. Huda Shawkat Behnam, Al-Mawred Magazine, Volume Twenty-seven, Issue (1), 1419 AH / 1999 AD: 115.
17. **Diagnosis of Nature and Projection in the Poetry of Ibn Khafaja**, Nujud Atallah Al-Hawamdeh, Journal of the College of Dar Al-Ulum, Cairo University, Issue (96), October - 2016: 359.
18. **Diwan Ibn Khafajah**, under Dr. El-Sayed Mustafa Ghazi, Dar al-Maarif - Alexandria - Cairo, 1960.
19. **Environment and Nature Vocabulary in Ibn Zayduon's Poetry: An Analytical Descriptive Study,** Abd al-Rahman Abd al-Salam Daoud Matroud, Master Thesis, University of Gezira, College of Education - Hasahisa, Department of Arabic Language and Islamic Studies, supervised by Dr. Fateh al-Rahman Muhammad Ahmad Awad, April - 2019.
20. **Ethical and Aesthetic Values in the Poetry of Ibn Khafaja Al-Andalusi, "An Analytical and Descriptive Study",** Majdi Abdel-Ma'rouf Hussein Ahmed, Journal of Science and Technology, Volume (11), Issue (1), 2010: 211.
21. **From the pictures of Andalusian creativity**, Prof. Dr. Muhammad Majeed Al-Saeed, Anbar University Journal of Languages and Literature, Issue (1), for the year 2009: 16.
22. **Ibn Khafaja Al-Andalusi**, Abdul Rahman Jubair, first edition, New Horizons House - Beirut - 1400 AH - 1980 AD.
23. **Ibn Khafaja is a poet and prose writer describing nature**, Issam al-Din ibn Ahmad, available at the link, https://www.researchgate.net/publication/312164557_abn_khfajt_shar_wnathr_fy_wsf_altbyt: 657.

24. **In Andalusian literature**, Library of Literary Studies (11), Dr. Jawdat Al-Rikabi, sixth edition, Dar Al-Maarif - Cairo - 2008.
25. **Kitab Al-Aghani**, by Abi Faraj Ali bin Al-Hussein Al-Isfahani (d.: 356 AH-976 AD), edited by Dr. Ihsan Abbas, Dr. Ibrahim Al-Saafin, Mr. Bakr Abbas, third edition, Dar Sader, Beirut, 1429 AH-2008 AD.
26. **Lisan Al-Arab**, Imam Allama Ibn Manzoor (d.: 711 AH), corrected by Amin Muhammad Abd al-Wahhab, Muhammad al-Sadiq al-Ubaidi, third edition, Dar Revival of Arab Heritage, (D.M), 1419 AH-1999 AD.
27. **Nafh al-Tayyib min Ghusn Al-Andalus Al-Ratib**, Shihab al-Din Ahmad bin Muhammad al-Maqri al-Talmisani (d.: 1041 AH), edited by Ihsan Abbas, third edition, Dar Sader, Beirut - Lebanon, 1997 AD.
28. **Nature in Andalusian Poetry**, Jamila Shehadeh Al-Khoury, Professor's Degree in Science, Beirut American University, Faculty of Arts, 1946.
29. **Nature in the poetry of Ibn Khafaja Al-Andalusi**, a study in the objective structure and language of poetry, Abdul-Hussein Taher Muhammad Al-Rubaie, master's thesis, University of Basra, College of Arts, under the supervision of Assistant Professor Dr. Khaled Lafta Baqer, 1419 AH - 1998 AD.
30. **Nature Poetry in Arabic Literature**, Dr. Sayed Nofal, Al-Khanji Library, Egypt, Misr Press, an Egyptian joint stock company, Cairo, 1945.
31. **On Andalusian Literature**, Dr. Qaisar Mustafa, (Dr. I), Al-Ashraf Institution for Printing, Publishing and Distribution, Beirut- Lebanon.
32. **Psychological Significances in the Poetry of Silent Nature by Ibn Khafajah Al-Andalusi**, Assistant Professor Dr. Khaled Abdel-Kazim Adhari, Ghufran Karim Odeh, Basra Research Journal for Human Sciences, Volume (43), Issue (1), 2018: 539.
33. **Rayat Al-Mubrazeen wa Ghayat Al-Mumayazeen**, by Abu al-Hasan Ali ibn Musa ibn Said al-Andalusi (610-685), verified and commented on by Dr. Muhammad Radwan al-Daya, first edition, Dar Talas for Studies, Translation and Publishing, Damascus - Al-Mazzeh Highway - 1987.
34. **Rhetorical Characteristics in the Poetry of Ibn Khafaja Al-Andalusi**, Ayas Ghalib Al-Rasheed, MA Thesis, Damascus University, College of Arts and Human Sciences, Department of Arabic Language and Literature, under the supervision of Dr. Munira Faour, 1430 AH - 2009 AD.
35. **Saheeh Al-Bukhari**, Muhammad bin Ismail Abu Abdullah Al-Bukhari Al-Jaafi, investigator Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, first edition, Dar Touq Al-Najat, (D.M), 1422 AH.

36. **The Ashes of Poetry: A Study of the Objective and Artistic Structure of Modern Sentimental Poetry in Iraq**, Prof. Dr. Abdul Karim Radi Jaafar, second edition, (D.M), 2014.
37. **The dialectic of invisibility and manifestation: Structural studies in poetry**, Kamal Abu Deeb, third edition, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut-Lebanon, 1984.
38. **The dialectic of the self and the other in Sufi poetry throughout the sixth and seventh centuries AH**, Saleh Ibrahim Najm, Ph.D., Tishreen University, Faculty of Arts and Human Sciences, Department of Arabic Language, under the supervision of Dr. Wafiq Mahmoud Sulaitin, academic year 2012-2013AD.
39. **The Era of States and Emirates (Algeria – Al-Maghrib Al-Aqsa - Mauritania - Sudan) History of Arabic Literature 10**, first edition, Dar Al-Maarif, Cairo, d. T, d. Shawky Deif.
40. **The Humanization of Animals in Pre-Islamic Poetry**, Maher Ahmed Al-Mubaideen, Emad Abdel-Wahhab Al-Damour, Annals of Ain Shams Literature, Volume (43), January / March 2015 AD.
41. **The Image of Color in Andalusian Poetry (Semantic and Artistic Study)** Prof. Dr. Hafez Al-Maghribi, First Edition, Dar Al-Manahil for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, 1429 AH - 2009 AD.
42. **The Image of the Other in Andalusian and Moroccan Poetry**, Prof. Dr. Ahmed Hajim Al-Rubaie, first edition, Dar Ghaida for Publishing and Distribution, Amman, 2019 AD-1440 AH.
43. **The Image of the Other in Arabic Poetry from the Umayyad Era until the End of the Abbasid Era,** Dr. Saad Fahd Al-Thuwaikh, first edition, The World of Modern Books, Irbid, Jordan, 1430 AH - 2009 AD.
44. **The image of the sea in Andalusian poetry, a technical and aesthetic study in selected models**, Dear Sabah, Master Thesis, Al-Arabi Ibn Mahidi Umm Al-Bouqi University, under the supervision of Professor Dr. Buhoush Morgana, 2014-2015 AD - 1435 AH-1436 AH.
45. T**he movement of the image in Andalusian poetry, an analytical study**, Prof. Dr. Ahmed Hajim Al-Rubaie, first edition, Dar Ghaida, for publication and distribution, Amman, 2019 AD-1440 AH.
46. **The Night in Pre-Islamic Poetry**, Jalil Rashid Faleh, Journal of Literature of Mesopotamia, Issue (9), 1987: 552.
47. **The Night in the Poems of Ibn Khafajah**, Assistant Professor, Dr. Koran Salah El-Din Shukr, Al-Ustad Magazine, Volume One, Issue (210), 2014 AD - 1435 AH.

48. **The Night in the Poetic Image of Ibn Khafajah, A Study in Sources and Indication**, Shaher Awad Al-Kafaween, The Jordanian Journal of Arabic Language and Literature, Volume (7), Number (4), Dhul-Qi`dah 1432 AH - October, 2011 AD:
49. **The Other in Andalusian Poetry (Ibn Hazm as a Model),** Hassan Mansour Muhammad Al-Faridawi, Master Thesis, Al-Mustansiriya University, College of Basic Education, Department of Arabic Language, under the supervision of Professor Dr. Younis Abbas Hussein, 1432 AH - 2011 AD.
50. **The Other in the Poetry of Al-Khatee'a, Dalalat Al-Makan as a Model,** Dr. Ali Hussein Jalloud, Dr. Hammadi Khalaf Saud, Journal of the College of Basic Education, Volume (21), Issue (87), 2015: 41.
51. **The Other in the Poetry of Ibn Hamdees al-Saqli (d.: 527 AH),** Alaa Attia Shaban Hamza al-Obaidi, MA, University of Mosul, College of Arts, Department of Arabic Language, under the supervision of Assistant Dr. Nadia Fathi Hadi al-Hayali.
52. **The relationship of color to the poetic image in the poetry of Ibn Khafaja Al-Andalusi 450-533 AH**, Zahir bin Badr Al-Ghasini - Sultan Qaboos University, Sultanate of Oman, available at the link, http://mohamedrabeea.net/library/pdf/2b7fe94b-7483-4e40-b5ff-6e565266a4d2 .pdf: 123.
53. **The Rhythmic Structure in the Poetry of Ibn Khafaja Al-Andalusi (451-533 AH),** Hussein Ibrahim Musa, Master Thesis, University of Mosul, College of Basic Education, under the supervision of Assistant Professor Dr. Suad Jassim Muhammad Al-Sumaida'i, 1434 AH-2013 AD
54. **The Self and the Other in Al-Mu'alaqat Al-Ashr**, Saad Sami Muhammad, Master Thesis, University of Basra, College of Arts, Department of Arabic Language, under the supervision of Assistant Professor Dr. Janan Muhammad Abdul Jalil, 1433 AH - 2012 AD.
55. **The Self and the Other in Al-Ruomiyat of Abi Firas Al-Hamdani**, Nawal Barak Al-Thamali, Master Thesis, Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah, College of Arabic Language, Department of Postgraduate Studies of Arabic Language, Literature, Rhetoric and Criticism Branch, under the supervision of Professor Dr. Mustafa Inaya, 1432 AH: 130.
56. **The Self and the Other in the Poetry of Omar Ibn Rabi'a**, Saba Essam Abdel-Hussein Numan Al-Dulaimi, Master Thesis, University of Babylon, College of Education, Department of Arabic Language, under the supervision of Professor Dr. Hana Jawad Abdel-Sada, 1431 AH - 2010 AD.

57. **The Story of Literature in Andalusia**, Muhammad Abdel Moneim Khafaji, (Dr. I), the second and final section, Al Maarif Library Publications - Beirut, 1962.
58. **The structure of a poem describing nature in the poetry of Ibn Khafaja Al-Andalusi, an analytical study**, Assistant Professor Dr. Khaled Lafta Baqer, Basra Journal of Etiquette, Issue (77), 2016 AD.
59. **The virtues of Andalusia and its people**, Ibn Hazm and Ibn Saeed Al-Shaqandi, under Dr. Salah El-Din Al-Munajjid, first edition, New Book House, 1968 AD.

The Other / Nature in the Poetry of Ibn Khafaga Al-Andalusi

Asmaa Taher Thanoon Al-Abadi*
Montaser Abdul Qadir Al-Ghadhanfari *

Abstract

This research deals with one of the important aspects of the Andalusian poet Ibn Khafaga, which is the other / nature, as he is one of the most important poets of Andalusia who dealt with nature until it became a corner of his creative text, until nature reached - silent and vivid - the climax in the description and communication on his hand.

The other nature, and more so the Andalusian nature, is one of the factors that contributed in establishing the phenomena of creativity, innovation and renewal in Andalusian poetry in general, and the poet Ibn Khafaga in particular until the poet of Andalusian nature is not deserving of its spheres and speaking of its flanks, but that he concealed from their aspects of life that became a future with him of his ideas And his feelings, as he made them, are a space for many texts in his poetry, as well as a direct description, so that all of

* **Master's Student/ Department of Arabic Language/ College of Human Education/ University of Mosul.**
* **Prof/ Department of Arabic Language/ College of Human Education/ University of Mosul.**

this brings together a picture of another important one which had a great role in explaining the poet's psychological / intellectual and creative experience.

Keywords: feelings, ideas, pictures.